الخطيب البغدادي

أعـــلام المؤرخـــين

obeikandl.com

obeikandl.com

المؤرخ الكبير
الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -

هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي يكنى أبا بكر واشتهر بالخطيب البغدادي.

وذكر الخطيب في ترجمة والده: أن أصله من العرب، كان مسكن عشيرته بالحصاصة من نواحي الفرات، كان والده خطيبًا للجمعة والعيدين بقرية (درزيجان) بالقرب من بغداد. وله إلمام بالعلم وكان أحد الحفاظ لكتاب الله، تولى الخطابة والإمامة نحوًا من عشرين سنة.

ولد أبو بكر الخطيب يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة وقيل: سنة إحدى وتسعين.

نشأ أبو بكر في كنف والده فبث فيه روح العلم والتقى، وحبب إليه القرآن ومجالس العلماء فتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن ووجوه القراءات عندما صار في سن التمييز. وتأدب عند هلال بن عبد الله الطيبي.

ولما بلغ أبو بكر إحدى عشرة سنة أرسله أبوه إلى جامع بغداد ليحضر حلقة ابن رزقويه وكتب عنه إملاءً مجلسًا واحدًا ثم انقطع عنه مدة ثلاث سنوات انشغل فيها بالفقه ثم عاد إلى ابن رزقويه ولازمه إلى آخر حياته، وحضر مجلس كبار الفقهاء كأبي حامد الإسفراييني الذي انتهت إليه رياسة المذهب الشافعي ببغداد. ثم أحمد بن محمد المحاملي شيخ الشافعية ببغداد بعد الإسفراييني وهو أول

من علق الفقه عنه [1] وكذلك أمثال: الفقيه الكبير طاهر بن عبد الله الطبري وأبي الطيب الطبري وأبي نصر بن الصباغ. فبرع في الفقه الشافعي والخلاف حتى صار فقيها ثم غلب عليه الحديث. لم يترك محدثًا من محدثي بغداد إلا أخذ عنه ثم عزم على الرحلة إلى الأقطار الإسلامية ليأخذ عن محدثيها.

رحلاته في طلب الحديث

لقد بدأ رحلاته سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فسافر إلى البصرة والكوفة - وعمره إذ ذاك عشرون سنة. ثم سافر إلى نيسابور وأصبهان والري وهمذان والدينور والجبال. ثم سافر إلى مكة المكرمة ودمشق والمدينة المنورة والقدس وصور وطرابلس. كانت رحلته الأولى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة التي توفي فيها أبوه في شهر شوال ثم قام برحلته الثانية إلى جهة المشرق بعد استشارته لشيخه البرقاني وتزويده برسالة إلى أبي نعيم محدث أصبهان. وكانت هذه الرحلة سنة خمس عشرة وأربعمائة والتقى فيها بمحدثين كثيرين وأخذ عنهم واستفاد من هذه الرحلة كثيرًا. وإما رحلته الثالثة فهي إلى الحج وكانت سنة أربع وأربعين وأربعمائة لكنه زار فيها دمشق والمدينة ثم زار بيت المقدس في عودته، ثم صور في سنة ست وأربعين.

نيته عند شربه ماء زمزم:

لقد ذكر الخطيب - رحمه الله - أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات آخذًا بالحديث:«ماء زمزم لما شرب له» [2].

(١) تاريخ بغداد، ٤ / ٣٧٢.
(٢) سنن ابن ماجه المناسك (٣٠٦٢)، مسند أحمد بن حنبل (٣٥٧/٣).

الحاجة الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد بها.

الحاجة الثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور.

الحاجة الثالثة: أن يدفن عند بشر الحافي " رحمه الله " فقضى الله له ذلك [1].

إبطاله لكتاب مزور كتبه اليهود:

إن هذه الحادثة جرت سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان لها أكبر الأثر في رفع مقام الخطيب وانتشار سمعته ورفعة منزلته. وهي تدل على سعة علمه واطلاعه ونباهته واستحضاره للوقائع والتاريخ. وأصل الحادثة: أن كان قد أظهر بعض اليهود كتابًا، وادعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادات الصحابة، وإن خط علي بن أبي طالب فيه، فعرضه رئيس الرؤساء ابن المسلمة على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزور، قيل: من أين لك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، فاستحسن ذلك منه واعتمده وأمضاه ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره. وصنف رئيس الرؤساء في إبطاله جزءا وكتب عليه الأئمة أبو الطيب وأبو نصر بن الصباغ والدامغاني والبيضاوي وغيرهم [2]. وقد أذن للخطيب بعدها أن يملي الحديث في جامع المنصور ببغداد بعد هذه الحادثة.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٣٩٩، معجم الأدباء ٤: ١٦، التذكرة ٣: ١١٣٩، طبقات السبكي ٤: ٣٥ والحديث: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه والبيهقي عن جابر وكذلك البيهقي في الشعب عن ابن عمرو وكذلك الحاكم والدارقطني عن ابن عباس.

(٢) انظر: المنتظم ٨ / ٢٦٥، والتذكرة ٣ / ١١٤١، وطبقات السبكي ٤ / ٣٥، والإعلان بالتوبيخ ١٠، ١١، ومعجم الأدباء ٤ / ١٩.

خروج الخطيب إلى دمشق وهجره بغداد:

لقد استولى " البساسيري " مقدم الأتراك ببغداد على البلاد في سنة خمسين وأربعمائة، وكان البساسيري [١] سيئ العقيدة على مذهب الفاطميين فدعا لصاحب مصر في الخطبة وزيد في الأذان " حي على خير العمل "، ونفى الخليفة إلى " حديثة عانة " وصلب ابن المسلمة صاحب الخطيب ورئيس الرؤساء. وكان عوام من الحنابلة قد آذوا الخطيب [٢]، فخشي أن تدبر له مؤامرة ويوشى به لدى البساسيري لذا قرر الهجرة إلى دمشق فخرج منتصف شهر صفر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة مستترًا وأخذ معه كتبه وتصانيفه وسماعاته لعزمه على المقام بها. وسكن في المئذنة الشرقية من الجامع الأموي وبدأ تدريس الحديث وغيره في المسجد، لكنه لم يدم له المقام بدمشق إذ ثار عليه الروافض عند سماعهم منه فضائل العباس - رضي الله عنه - وكانت دمشق تحت حكم الفاطميين - فخرج إلى صور [٣] وذلك سنة سبع وخمسين وأربعمائة وقيل: سنة تسع وخمسين ومكث بين صور وبيت المقدس حتى شعبان من سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

رجوعه إلى بغداد:

لما بلغ أبو بكر من العمر سبعين عامًا وشعر بقرب أجله واشتاق إلى بلده بغداد عزم على السفر إليها، فسافر بصحبة تلميذه وصاحبه عبد المحسن بن محمد بن علي الشيحي في شعبان سنة اثنتين وستين وأربعمائة، فسلكا طريق الساحل فمرا بطرابلس ثم حلب وأقام بها

(١) انظر القصة في تاريخ بغداد ٩ / ٣٩٩ - ٤٠٤.
(٢) انظر المنتظم ٨ / ٢٦٧ وتأنيب الخطيب: ١٢.
(٣) انظر البداية ١٢ / ١٠٢ وطبقات الشافعية للحسيني ١٦٤، ١٦٥.

أيامًا ثم توجه إلى بغداد فوصلها في ذي الحجة من السنة نفسها وكان في طريقه يختم في كل يوم وليلة ختمة كاملة.

ولما وصل بغداد استأنف تحديثه ودرسه في جامع المنصور ببغداد واجتمع إليه طلابه بلهف وشوق فحدث بسنن أبي داود من روايته وأملى فصولاً من التاريخ والزيادات.

مرضه ووصيته ووفاته:

مرض الخطيب - رحمه الله تعالى - في منتصف رمضان من سنة ثلاث وستين في حجرته بباب المراتب بدرب السلسلة قرب المدرسة النظامية. ولم يكن له عقب ولا وارث فأراد أن يختم حياته بعمل من أعمال البر فكتب إلى القائم بأمر الله يستأذنه أن يفرق ماله - وكان مائتي دينار - [1] على أصحاب الحديث فأذن له ووكل أمر توزيعه إلى أبي الفضل بن خيرون. وأوصى بأن يتصدق بجميع ثيابه وما يملكه من أشياء بعد موته ووقف جميع كتبه ومصنفاته على المسلمين وسلمها إلى ابن خيرون.

واشتد مرضه في ذي الحجة وتوفي ضحى يوم الاثنين سابع ذي الحجة من سنة ثلاث وستين وأربعمائة رحمه الله.

ولما مات دفن عند قبر بشر الحافي - رحمهما الله تعالى - [2] يوم الثلاثاء، وكان قد صلى عليه في جامع المنصور وصلى عليه القاضي أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي بالله وتبعه الفقهاء والخلق العظيم - وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون: هذا الذي

(١) انظر المنتظم ٨ / ٢٦٩، والتذكرة ٣ / ١١٤٣، ومعجم الأدباء ٤ / ٤٥.
(٢) انظر قصة دفنه في التذكرة ٣ / ١١٤٤، والمنتظم ٨ / ٢٦٩، ومعجم الأدباء ٤ / ١٧، والشذرات ٣ / ٣١٢، وغيرها.

كان يذب عن رسول الله ﷺ. هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله ﷺ، وكان أبو إسحاق الشيرازي شيخ الشافعية ممن حمل جنازته. وكان قد حضرها جميع الفقهاء وأهل العلم ونقيب النقباء في بغداد [١]. وانتشر خبر وفاته في البلاد الإسلامية وأرسلت الكتب من بغداد بنعيه، ورثاه كثير من أهل العلم والشعراء ورآه كثير من الصلحاء في المنام على أحسن حال[٢].

علومه:

لقد أخذ الخطيب من كل علم بنصيب جيد وحظ وافر، فقد قرأ القرآن وتعلم وجوه القراءات ثم درس الفقه وأصوله حتى صار من كبار فقهاء الشافعية، ودرس علوم الآلة والأدب حتى اعتبر نحويًّا أديبًا وسمع الحديث ورحل فيه واشتغل بالتاريخ خصوصًا تاريخ رجال الحديث وغلب عليه الحديث والتاريخ. وصنف وهذب ورتب ونقد.

تفقه بالمحاملي وأبي الطيب الطبري وأبي نصر بن الصباغ وهم من كبار فقهاء الشافعية ببغداد، وكان في العقيدة على مذهب أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى.

بعض مناقبه وأخلاقه:

لقد كان الخطيب - رحمه الله - على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والمناقب النبيلة. كان مخلصا في عمله وتصنيفه، ورعًا متحفظًا غير متقرب لسلطان ولا لذي جاه، عفيف

(١) انظر التبيين ٢٦٩ - ٢٧٠، والتذكرة ٣ / ١١٤٤.
(٢) انظر الطبقات للسبكي ٤ / ٣٧.

النفس، غير حريص على الدنيا [1]، زاهدًا فيها، متحملاً للأذى، كان متواضعًا حتى إنه ما كانت تروق له الأسماء والألقاب كالحافظ والمحدث، كان كريمًا معطاء، كان حريصًا على تطبيق العلم كحرصه على جمعه وضبطه وفهمه كان يقول: " الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا، وأشد الخلق تواضعًا وأعظمهم نزاهة وتدينًا وأقلهم طيشًا وغضبًا لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ويصدفوا عن أرذلها وأدونها " [2].

بعض صفاته

لقد كان الخطيب - رحمه الله - جيد الخط، وجودة الخط قليلة لدى كبار المحدثين، وقد عقد في كتابه (الجامع) بابًا خاصًّا سماه باب تحسين الخط وتجويده، كان فصيحًا في نطقه ولهجة كلامه حسن القراءة جهوري الصوت يسمع صوته عند قراءته الحديث كل من في المسجد، كان حريصًا على المطالعة كان يمشي في الطريق وفي يده جزء من الحديث يطالعه كان سريعًا في القراءة ضرب به المثل في تفرده في زمانه بذلك. قرأ صحيح البخاري في ثلاثة مجالس على شيخه الحيري.

كما كانت عليه - رحمه الله - هيبة ووقار. كان نبيلاً خطيرًا. ثقة صدوقًا متحريًّا حجة فيما يصنفه وينقله ويجمعه حسن النقل، كثير الشكل والضبط وكان في درجة الكمال والرتبة العليا خُلقًا وخَلقًا

(١) انظر معجم الأدباء ٤ / ٣١، والتذكرة ٣ / ١١٣٨، والطبقات للسبكي ٤ / ٣٤.
(٢) مقدمة الجامع لأخلاق الراوي.

وهيئة ومنظرًا - كذا قال ابن السمعاني[1]. كان هادئ الشخصية بعيدًا عن التدخل في الأمور السياسية.

شيوخه:

إن الرحلات التي قام بها الخطيب والبلدان التي زارها أو أقام بها جعلته يلتقي بعدد كبير وكبير جدًا من الشيوخ الذين سمع منهم أو قرأ عليهم أو روى عنهم، وهذا ما جعل بعض الذين ترجموا للخطيب يقولون بأن عدد شيوخه يزيدون على الألف شيخ، بينهم عدد من أئمة الحديث وحفاظه وكبار الفقهاء المشهورين في عصره في بلاد الشرق والجزيرة والعراق والشام والحجاز وغيرها. أمثال أبي نعيم - صاحب الحلية - والبرقاني، وأبي الحسن البزاز، وأبي عبد الله الصوري وغيرهم [2].

تلاميذه:

إن الخطيب - رحمه الله تعالى - بعد أن لمع نجمه وارتفعت مكانته - وكيف لا وهو العالم الكبير والحافظ الإمام والمصنف الشهير والرحالة الصبور، الذي جمع من المصنفات والكتب ما لا سمعه شيوخه وأقرانه - كثر تلاميذه في مختلف البلاد التي أقام بها ورحل الناس إليه يسمعون مصنفاته ويقرأون عليه مروياته، حتى أخذ عنه بعض شيوخه الكبار بعد عودته إلى بغداد، كالبرقاني وغيره من شيوخه، وابن ماكولا، وابن الأكفاني، والإسفراييني، ويحيى بن علي الخطيب التبريزي، وابن خيرون وأبي المعالي الشريف المرتضى وغيرهم كثير.

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٣٠.

(٢) محمود الطحان، الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث.

مصنفاته:

كان الخطيب البغدادي - رحمه الله - أحد الأئمة المكثرين من التصنيف، المجيدين البارعين وقد اشتهرت تصانيفه وعرف بها، وكان أهل الحديث من بعده عالة عليه. وقد ذكر السمعاني أنه صنف قريبًا من مائة مصنف صارت عمدة لأصحاب الحديث. إذ ما من باب من أبواب علوم الحديث إلا وألف فيها رسالة أو جزءًا. لكن لم يصل إلينا كل ما كتبه الخطيب - رحمه الله -، بل وصلنا ربع ما قيل: إنه قد كتبه تقريبا. وقد ذكر أصحاب الفهارس والأستاذان الدكتور العش والأخ الدكتور محمود طحان ما يقرب من ثمانين كتابًا من كتب الخطيب. والمصنفات التي ذكروها هي:

١ - الأمالي.

٢ - كتاب فيه حديث " الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن ".

٣ - حديث عبد الرحمن بن سمرة، وطرقه: في جزئين.

٤ - حديث النزول.

٥ - كتاب فيه حديث " نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا ".

٦ - طريق حديث " قبض العلم " في ثلاثة أجزاء.

٧ - حديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم ".

٨ - مجموع حديث أبي إسحاق الشيباني في ثلاثة أجزاء.

٩ - مجموع حديث محمد بن حجارة، وبيان بن بشر، وصفوان بن سليم، ومطر الوراق، ومسعر بن كدام.

١٠ - مجموع حديث محمد بن سوقه في ثلاثة أجزاء.

١١ - مختصر السنن من أصل الخطيب.

١٢ - مسند أبي بكر الصديق ﷺ على شرط الشيخين في جزء.

١٣ - مسند صفوان بن عسال.

١٤ - مسند نعيم بن هماز العصفاني في جزء.

١٥ - جزء فيه أحاديث مالك بن أنس عوالي تخريج الخطيب.

١٦ - أمالي الجوهري تخريج الخطيب.

١٧ - فوائد أبي القاسم النرسي تخريج الخطيب في عشرين جزءًا.

١٨ - فوائد عبد الله بن علي بن عياض الصوري تخريج الخطيب في أربعة أجزاء.

١٩ - الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب انتقاء الخطيب من حديث الشريف أبي القاسم الحسني في عشرين جزءًا.

٢٠ - الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب تخريج الخطيب لأبي القاسم المهرواني.

٢١ - الفوائد المنتخبة الصحاح والعوالي تخريج الخطيب لجعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري.

٢٢ - مجلس من إملاء أبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة تخريج الخطيب.

٢٣ - بيان حكم المزيد في متصل الأسانيد.

٢٤ - الرباعيات في ثلاثة أجزاء.

٢٥ - الفصل للوصل المدرج في النقل، تسعة أجزاء.

٢٦ - الكفاية في معرفة أصول الرواية ثلاثة عشر جزءًا.

٢٧ - كتاب فيه الكلام في الإجازة للمجهول والمعدوم والمعلقة

obeikandl.com

بشرط جزء واحد.

٢٨ - المسلسلات ثلاثة أجزاء.

٢٩ - المكمل في بيان المهمل ثمانية أجزاء.

٣٠ - اقتضاء العلم العمل جزء واحد.

٣١ - تقييد العلم جزءان.

٣٢ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع خمسة عشر جزءًا.

٣٣ - الرحلة في طلب الحديث جزء واحد.

٣٤ - شرف أصحاب الحديث ثلاثة أجزاء.

٣٥ - الفقيه والمتفقه اثنا عشر جزءًا.

٣٦ - جزء فيه النصيحة لأهل الحديث.

٣٧ - القول في علم النجوم جزء واحد.

٣٨ - نهج الصواب في أن التسمية آية من فاتحة الكتاب جزءان.

٣٩ - إبطال النكاح بغير ولي جزء واحد.

٤٠ - إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة.

٤١ - الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة جزءان.

٤٢ - الحيل أربعة أجزاء.

٤٣ - الدلائل والشواهد على صحة العمل بخبر الواحد.

٤٤ - صلاة التسبيح والاختلاف فيها جزء واحد.

٤٥ - الغسل للجمعة جزءان.

٤٦ - القضاء باليمين مع الشاهد جزءان.

٤٧ - القنوت والآثار المروية فيه على اختلافها وترتيبها على مذهب الشافعي ثلاثة أجزاء.

obeikandl.com

٤٨ - مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه جزء واحد.

٤٩ - النهي عن صوم يوم الشك.

٥٠ - الوضوء من مس الذكر.

٥١ - كتاب فيه خطبة عائشة في الثناء على أبيها، من تخريج الخطيب من رواياته عن شيوخه.

٥٢ - المنتخب من الزهد والرقائق.

٥٣ - البخلاء ثلاثة أجزاء.

٥٤ - التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف.

٥٥ - التطفيل، وحكايات الطفيليين وأخبارهم أربعة أجزاء.

٥٦ - الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة.

٥٧ - الأسماء المتواطئة والأنساب المتكافئة.

٥٨ - بيان أهل الدرجات العلى.

٥٩ - تلخيص المتشابه في الرسم، وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم في ستة عشر جزءًا.

٦٠ - تالي التلخيص أربعة أجزاء.

٦١ - التبيين لأسماء المدلسين جزءان.

٦٢ - التفصيل لمبهم المراسيل جزء واحد.

٦٣ - تمييز المزيد في متصل الأسانيد ثمانية أجزاء.

٦٤ - رافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والأنساب في مجلد.

٦٥ - الرواة عن شعبة ثمانية أجزاء.

openkanal.com

٦٦ - الرواة عن مالك تسعة أجزاء.

٦٧ - روايات الستة التابعين بعضهم عن بعض جزء واحد.

٦٨ - روايات الصحابة عن التابعين جزء واحد.

٦٩ - روايات الآباء عن الأبناء جزء واحد.

٧٠ - السابق واللاحق تسعة أجزاء.

٧١ - غنية المقتبس في تمييز الملتبس في مجلد.

٧٢ - المتفق والمفترق ستة عشر جزءًا.

٧٣ - من حدث ونسي جزء واحد.

٧٤ - من وافقت كنيته اسم أبيه مما لا يؤمن من وقوع الخطأ فيه ثلاثة أجزاء.

٧٥ - المؤتنف في تكملة المؤتلف والمختلف في أربعة وعشرين جزءًا.

٧٦ - موضح أوهام الجمع والتفريق.

٧٧ - تاريخ بغداد مائة وستة أجزاء.

٧٨ - مناقب أحمد بن حنبل.

٧٩ - مناقب الشافعي.

٨٠ - كتاب الوفيات [١].

هذا ويمكن أن تقسم كتب الخطيب إلى ثمانية أقسام.

١ - أسماء رجال الحديث.

(١) انظر الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها، فهرست ابن خليفة الإشبيلي. وكشف الظنون، الرسالة المستطرفة، معجم الأدباء، والتذكرة وغيرها.

obeikandl.com

٢ - المصطلح.

٣ - الأحاديث المخرجة.

٤ - آداب المحدث والفقيه.

٥ - الأحاديث والمسانيد.

٦ - الفقه والأدلة له من الحديث.

٧ - الأدب.

٨ - التاريخ.

ثناء العلماء عليه:

لا يخلو إنسان من صديق وعدو ومادح وقادح، ويقاس بالغالبية من الطرفين إذا خلا من حسد أو بغض أو عداوة. والخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - أثنى عليه عامة العلماء ما خلا بعض الحنابلة وبعض الحنفية. أما الذين أثنوا عليه فهم كثيرون ومن مختلف المذاهب. وفيهم الحفاظ والمحدثون والعلماء والفقهاء الكبار. ويمكن القول بأن عامة العلماء قد اتفقت كلمتهم على مدحه والثناء عليه عدا خصومه.

قال ابن ماكولا عنه: (كان آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وإتقانًا وحفظًا وضبطًا لحديث رسول الله ﷺ، وتفننًا في علله وأسانيده، وخبرة برواته وناقليه وعلمًا بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره، وسقيمه ومطروحه - ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدارقطني من يجري مجراه، ولا قام بهذا الشأن سواه..) [1].

وقال ابن نقطة الحنبلي: كل من أنصف علم أن المحدثين بعد

(١) التذكرة: / ١١٣٧.

الخطيب عيال على كتبه.

وقال السمعاني: إمام عصره بلا مدافعة، وحافظ وقته بلا منازعة. صنف قريبًا من مائة مصنف صارت عمدة لأصحاب الحديث. وقال عنه أيضا: إنه في درجة القدماء من الحفاظ والأئمة الكبار كيحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن أبي خيثمة وطبقتهم. وقال أيضا: انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، وختم به الحفاظ [١].

وقال ابن عساكر: الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين [٢].

وقال ابن خلكان: كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين. وفضله أشهر من أن يوصف [٣].

وقال السبكي: ما طاف سور بغداد على نظيره، يروي عن أفصح من نطق بالضاد ولا أحاطت جوانبها بمثله، وإن طفح ماء دجلتها عن كل صاد [٤].

وقال الذهلي: إمام مصنف حافظ لم تدرك مثله [٥] - قاله للسلفي.

وقال ابن الأثير: كان إمام الدنيا في زمانه [٦].

وقال الذهبي: ختم به إتقان هذا الشأن [١] ويقول في دول الإسلام:

---

(١) معجم الأدباء ٤ / ٣٠، والشذرات ٣ / ٣١٢، والتذكرة للذهبي ٣ / ١١٣٨.
(٢) تاريخ دمشق ٢ /٨.
(٣) الوفيات ١ / ٧٦.
(٤) الطبقات للسبكي ٤ / ٣٤.
(٥) تاريخ القاضي ابن أبي شهبة.
(٦) الكامل ٨ / ١١٠.

وفيها مات حافظ الدنيا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب صاحب التصانيف [٢].

ومن هذا يظهر اتفاق العلماء على مختلف القرون على تجلته وتوثيقه وأنه الحافظ الإمام حتى إن خصومه قد اعترفوا له بذلك. رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته [٣].

* * *

(١) انظر التذكرة، ١١٣٩.
(٢) دول الإسلام، ١ / ١٩٩.
(٣) الدكتور محمود الطحان، الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، دار القرآن، بيروت، وانظر أيضا: الخطيب البغدادي، مجلة البحوث الإسلامية، ٢ /٣٤٧ - ٣٥٦.

obeikandl.com